الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيّان عاشور بالجلفة

كلّيّة الآداب واللّغات والفنون
قسم اللّغة العربيّة وآدابها

الأستاذ: صالح عويسي

مقياس الأعمال الموجهة : الأدب الشعبي المغاربي
السنة الثالثة ليسانس ، تخصص دراسات أدبية ، الفوج 08
السداسي الثاني

السّنة الجامعيّة :

(2020/2019)

مقدمة :

الأدب الشعبي المغاربي كغيره من النماذج الخاصة بالأدب الشعبي في كل أنحاء العالم ،غني بأشكاله التعبيرية ،وهو يعكس الخلفية الثقافية والطبيعية والتاريخية واللغوية والدينية ،فهو صورة صادقة تعبّر بشفافية عن آمال وآلام الشعوب المغاربية .

هذا ما اهتمت به المنظومة التعليمية الجامعية التي أدرجته ضمن سلسلة المقاييس المستحدثة بهدف ايجاد أواصر أقوى تجمع بين الشعوب المغاربية التي أفسدته المفاهيم في الأذهان ؛نظرا للحدود السياسية التي فرقت الشعوب الأمازيغية التي زاد من وحدها الاسلام والعروبة .

1. مفهوم الأدب الشعبي :

FOLK LITERATURE: الأدب الشعبي مصطلح جديد يدل على التعبير الفني المتوسل بالكلمة ،وما يصاحبها من حركة و اشارة و ايقاع ،تحقيقا لوجدان جماعة في بيئة جغرافية معينة أو مرحلة محدودة من التاريخ ،و لقد اختلف مدلول هذا الاصطلاح باختلاف المدارس الفولكلورية و الأدبية ،فقد كان يعني في الدول اللاتينية كل ما يعنيه مصطلح أصبح مرادفا للفلكلور ،ثم حدد مجال الأدب الشعبي بعد أن أصبح الفولكلور علما قائما برأسه ،له مناهجه و دوائر بحثه ،والأدب الشعبي جزء كبير من المأثورات الشعبية ،وهو ليس الأدب العامي[1]

فالأدب الشعبي نوع من الخلق الأدبي الشعبي ،ويعد الأدب الشعبي جزء هاما من التراث الشعبي ،ويتضمن الحكايات الشعبية ،والاغاني الشعبية ،و اهازيج الطقوس الدينية ،والألغاز ،والأهازيج ..الخ[2]

أمّا لفظة شعبي هي ما اتصل اتصالا وثيقا بالشعب واتصفت ممارسته بالشعبية، أي أنها من إنتاج الشعب، أمّا المهتمون بالأدب الشعبي فلكل واحد رؤيته الخاصة للموضوع وكل واحد نهج نهجا تعريفيا خاصا به وذلك راجع الى ثلاث أسباب رئيسية هي:

- ✓ طبيعة المادة الشعبية التي هي حركة دائمة وما تحتويه من رموز وكنوز فكرية وثقافية مختلفة وناطقة من جهة وغموضها من جهة أخرى، حيث لا تبوح بأسرارها الدلالية بسهولة.
- ✓ رؤية كل باحث للأدب الشعبي، وبالتالي توجيهه الثقافي والإيديولوجي والمعرفي واختلاف أدوات البحث والمفاهيم والمناهج لدى الباحثين.

غنى مادة الأدب الشعبي وتنوع مكوناتها اللّغوية وفساحة فضائها الرمزي وصعوبة مقاربتها[3]

وعرفه حسين نصار بقوله: " الأدب الشعبي هو الأدب مجهول المؤلف عامي اللغة المتوارث جيلا بعد جيل بالرّواية الشفوية ويشمل هذا التعريف أربعة شروط هي جهلنا لمؤلفه، عامية لغته، مرور عدّة أجيال عليه ووصوله إلينا بالرّواية الشفوية"[1].

إن هذه التعريفات تتفق أنّ الأدب الشعبي هو ذلك الأدب الذي أنتجه فرد بعينه ثم ذاب في ذاتية الجماعة التي ينتمي إليها، مصوّرا همومها وآلامها في قالب شعبي جماعي يتماشى ونظرتها ومستواها الفكري والثقافي واللغوي.

1. **ماهية الأدب الشعبي المغاربي** :" إن الأدب الشعبي المغاربي هو تلك النصوص الأدبية الشعبية التي أنتجتها المخيلة الشعبية المغاربية ،مستقية مضامين نصوصها من مشارب تاريخية وادبية ودينية وأسطورية تورثها أهالي المغرب العربي عربا وبربرا؛إنه أدب تضافرت وتداخلت فيه الطموحات والآمال مع الآلام والهموم،فأنتجت نصوصا شعبية بين النثر والشعر.. غير مختلف في شكله وسرده وقضاياه عن الدب الشعبي المحلي-الخاص بقطر واحد بعينه-والعربي" [2] ،فـ"الأدب الشعبي المغاربي ليس ذلكم الدب الذي يخضع للتقسيم السياسي والجغرافي لبلدان المنطقة (الجزائر، تونس، المغرب ،ليبيا،موريطانيا)،وإنما هوالأدب الذي أنتجته شعوب المنطقة منذ الأزمنة السحيقة ومازال متداولا بين الجيال المتتابعة مع إخضاع بعض مضامينه للخصوصية الثقافية والاجتماعية والدينية لكل بلد ؛فهو إذن عريق في وجوده مستمر في عطائه [3].
2. **نشأة الأدب الشعبي** :

تحسن الاشارة الى أن نشأة الأدب كانت شعبية ،فقبل آلاف السنين كانت كل عائلة أو عشيرة أو قبيلة لاحقا ..تتفاهم على نداءات وصيحات وأهازيج ..ترددها أثناء العمل كنقل الحجارة أو الأغصان لبناء البيت وتحصينه ،وحفر الخنادق لإبعاد مياه الأمطار، أو لتحصين القرية ،ومثلها يردد في حملات الصيد، وأثناء القتال ؛لشحذ العزيمة ،ورفع المعنويات، ومنها ما يردد أثناء القطاف، والحصاد؛ لتنظيم ايقاع الحركات ،والتغلب على التعب، وتوحيد روح الفرد مع روح الجماعة، لتتعاضد قوة الفرد مع الجماعة معا ، لكن مع تشكل دول المدن، وبروز طبقة الحكام والكهنة ،بدأ نوع من الفرز بين العامة وبين الخاصة، وتمايز أدب هؤلاء عن أولئك، رغم أنه كان يقال بلغة واحدة غالبا في دولة المدينة، وقد ازداد التمايز بظهور أسر حاكمة لها لغتها القبلية الخاصة، تمكنت من اخضاع العديد من المدن والقبائل ذات اللغات واللهجات المتنوعة [4]

3. **مميزات الأدب الشعبي** :

إنّ صفة الشعبية هي أهم ما يميز الأدب الشعبية، وهذه الصفة تترابط مع خصائص أخرى لا غنى للأدب الشعبي عنها ،أهمها ما يلي [3] :

- **مجهولية المؤلف**
- **التناقل الشفاهي**
- **الانتشار والتداول**
- **المحتوى الثقافي المعبر عن وجدان الجماعة**

- اللغة العامية
- الدافع الروحي الجماعي

أما محمد سعيدي فيحدد خصائصه فيما يلي [1]

- العراقة
- الواقعية
- الجماعية
- التداخل

فالأدب الشعبي يعتبر وعاء فنّيا صادقا معبّرا عن أصالة الشعوب وهويتها ،فهو مرتبط بالواقع، اجتماعي المضمون وجماعي الإبداع والذاكرة الشعبية تمتاز بالشمولية، وبالتالي الإلمام الكلي والشامل بالظاهرة وبالتحاور المطلق مع كل الألوان المعرفية والثقافية ومن هذا المنطلق جاء الأدب الشعبي غنيا بهذه الشمولية المعرفية.

علاقة الأدب الشعبي بالفولكلور:

1. الفولكلور :

الفولكلور Folklore اسم اصطلاحي أجنبي ،منحوت من أصلين لاتينيين هما Folkبمعنى الناس، Lore بمعنى الحكمة أو المعرفة "[1] ، وأولى المحاولات مع الباحث (وليم جون تومز) الذي يعد رائدا في ابتداع مصطلح (الفولكلور Folklore) 1846م ، كما أشار إلى ذلك (يوري سوكولوف) ، اذ ذكر أن الترجمة الحرفية للمصطلح كما وضعه (تومز) بالإنجليزية تعني " حكمة الشعب أو المعرفة الشعبية " [2] ؛ وذلك للكشف عن ماضي المجتمعات وحاضرها وردود أفعالها إزاء الظروف التي تتعرض لها، سواء أكانت مجتمعات بدائية أم متحضرة في فترة محددة زمنيا .

2. تصنيف الفولكلور وعلاقته بالأدب الشعبي :

يقدم محمود ذهني تقسيمه لمواد الفولكلور بنوع من الثقة في هذا التقسيم و شموليته لمواده ،يقول :" وعلى الرغم من أن علماء الفولكلور اختلفوا حول وضع تعريف دقيق له لكنهم اتفقوا اعتباريا على أنه التراث الثقافي غير العلمي للشعوب ..ومعنى هذا أن الثقافة غي العلمية التي هي ميدان الدراسات الفولكلورية تضم المجالات التالية [3] :

1. العادات والتقاليد وأسس المعاملات.
2. المعارف والأفكار والمنقولات العقلية.
3. الدين والمعتقدات والطقوس والشعائر
4. الفنون التطبيقية والعملية (كالطب والصناعات اليدوية ..وما إلى ذلك)
5. الفنون الجميلة بقسميها :
   - البصرية كالرقص والرسم والعمارة
   - السمعية كالغناء والحكايات والشعر والأمثال و المأثورات
6. السلوك و الممارسات المنزلية و الخارجية
7. النظم الاجتماعية (كنظم التعليم و القضاء والخدمات و نحوها)
8. المساكن والأبنية والأدوات المستعملة
9. مصادر الدخل ووسائل استغلالها
10. طرق الترويح والرياضة وازجاء أوقات الفراغ

كما قدم محمد الجوهري تقسيما أكثر حداثة قارن فيه بين مختلف الاتجاهات العالمية التي اهتمت بالفولكلور ،ثم قدم مواد الفولكلور الأكثر شمولا ،يقول :" ونحاول أن نقدم تصنيفا للتعريفات المختلفة ،وسوف نلاحظ أن كل تعريف منها قد ارتبط بتراث علمي في دولة أو عدة دول معينة ،وان بعضها ارتبط بفترة أو فترات زمنية معينة ؛وهي على أية حال تتدرج من الضيق الى الاتساع و من الجزئية الى الكلية و شمول النظرة [1] :

1. **الفولكلور هو التراث الشفاهي** :أي يرادف مصطلح (الأدب الشعبي)أو على الأقل التراث المتداول مشافهة
2. **الفولكلور هو تراث الفلاحين الطبقات الدنيا في المجتمع**
3. **الفولكلور يدرس التراث الشعبي في المجتمعات التاريخية**
4. **علم الفولكلور هو دراسة التراث الشعبي دراسة شاملة مقارنة**

ثم بعد فعلم الفولكلور يدرس الثقافة التقليدية أو التراث الشعبي ،ويهتم دارس الفولكلور بكل شيء ينتقل اجتماعيا من الاب الابن ومن الجار الى جاره ،مستبعدا المعرفة المكتسبة عقليا سواء كانت متحصلة بالمجهود الفردي أو من خلال المعرفة المنظمة والموثقة التي تكتسب داخل المؤسسات الرسمية كالمدارس والمعاهد والجامعات والأكاديميات و ما اليها.. وطبقا لهذه النظرة الشاملة التي تمثل في نفس الوقت آخر ما وصل اليه فهم هذا العلم من تطور ،قسمنا ميدان الدراسة الى أربعة اقسام رئيسية :

1. **المعتقدات والمعارف الشعبية**
2. **العادات و التقاليد الشعبية**
3. **الأدب الشعبي**
4. **الثقافة المادية والفنون الشعبية**

فرغم أن دراسة محمد الجوهري أحدث من دراسة محمود ذهني لكنها قريبة من تقسيمه لمواد الفولكلور .

"وفي عام 2006 نشر الدكتور مصطفى جاد المجلد الأول من تصنيفه تحت اسم (مكتز الفولكلور) الذي جعله خماسيا كالتالي :

1. **المعتقدات و المعارف الشعبية**
2. **العادات والتقاليد الشعبية**
3. **الأدب الشعبي**
4. **الفنون الشعبية**
5. **الثقافة المادية**

وهو كما يلاحظ لا يختلف عن النص نيف الثاني عند الجوهري " (1)

هذه مواد الفولكلور التي يعد الأدب الشعبي واحدا من مكوناتها ومنه فالفولكلور أعم من الأدب الشعبي ،أما بالنسبة لعلم الفولكلور فمصطلح آخر يختلف عن قولنا الفولكلور؛ الذي" يعني ذلك الفرع من فروع المعرفة الانسانية الذي يعنى بدارسة تلك المأثورات الشعبية أو المادة الفولكلورية من زاوية معينة تختلف عن الزاوية التي ينظر منها علم الأنثروبولوجية والأثنولوجية وغيرها من العلوم الأخرى ..فإن علم الفولكلور يهدف الى محاولة استخدام حاصل تلك الدراسات في الوصول الى اوضاع جديدة مفيدة ونافعة للمجتمع المعنى بالدراسة ..ونستطيع القول بأنه بقدر ما يوغل تاريخ المأثورات الفولكلورية في القدم، بقدر ما يعتبر علم الفولكلور من أحدث العلوم المعاصرة" (2)

فـــ "مصطلح الأدب الشعبي لا يشمل إلا المواد الشعبية حصرا، كالحكاية، والمثل، والحزورة، والشعر الشعبي ،ونصوص الأغاني الشعبية، وتخرج عن نطاقه بقية المواد من عادات، ومعتقدات ،وفنون، ومنتج حرفي .." (3)

ومن المفيد الاشارة أيضا الى أن كثيرا من الأفكار العقدية القديمة التي كان ميدانها الأساطير والطقوس ،قد تسربت مع الزمن خلال مختلف الحضارات ،والثقافات المتتابعة ؛لتتناهى إلى التراث الشعبي ، وتتشعب في العادات والتقاليد،والمعتقدات ، والأدب الشعبي، والفنون الشعبية ،كما في عادات الموت والعرس والسحر وغيرها.. (4)، مما يجعل العلاقة متبادلة بين الأدب الشعبي و بقية مواد الفولكلور ،حيث يمكن أن نتعرف على الممارسات الشعبية والثقافة المادية من خلال الأمثال أو الألغاز أو الحكايات الشعبية أو الشعر الشعبي .

1. **تصنيفات الأدب الشعبي** : لقد تباينت الاتجاهات واختلفت في تحديد تصنيفات الأدب الشعبي ، فقد ظهرت خلال نصف القرن الماضي محاولات مميزة لتصنيف موضوعاته:

- **تصنيف نبيلة ابراهيم** : قدمت **نبيلة ابراهيم** تصنيفا لأبرز الأنواع الأدبية الشعبية جاءت كما يلي :**الأسطورة – الحكاية الخرافية الشعبية –الحكاية الشعبية – المثل –اللغز– و النكتة – الأغنية الشعبية** (2) ، ويأخذ محمد الجوهري على هذا التقسيم تجاهله لبعض الأنواع الهامة ومنها: السيرة الشعبية والنداءات والعمال الدرامية الشعبية (3)
- **تصنيف مصطفى جاد** :يقول الباحث محمود مفلح البكر عن أحدث تصنيف عربي لمواد الأدب الشعبي :" يتفرع الأدب الشعبي الى فروع رئيسية ،تتفرع بدورها الى فروع عديدة ،وأغلب الفروع الرئيسية متفق عليه بين العلماء والباحثين ،وآخر تصنيفات الأدب الشعبي ما أورده الدكتور مصطفى جاد في المكتز ،نذكر هنا فروعها الرئيسية (4) : **الأساطير –الحكايات– السير الشعبية –الملاحم الشعبية –الشعر الشعبي –الأغاني الشعبية –الأمثال–الألغاز–الفكاهة– التعابير والاقوال السائرة–نداءات الباعة–المعضلات اللسانية(المبارزات اللسانية)–الرقى والتعاويذ.**

2. تصنيفات الحكاية الشعبية:

يجد الباحث صعوبة كبيرة في تصنيف القصص الشعبي الجزائري ؛ويعود ذلك لسببين أساسيين هما اختلاف الدارسين في مختلف بلاد العالم حول المبادئ التي يمكن أن تعتمد في عملية التصنيف من ناحية ،وخصوصية مادة القصص الشعبي الجزائري النابعة من تاريخ المجتمع الجزائري وطبيعة تطور ثقافته الشعبية عبر العصور من ناحية ثانية [1]،وهي اشكالية لا تخص القصص الشعبي الجزائري لوحده و انما كل القصص الشعبي العربي والمغاربي ،يقول مصطفى يعلى :" تعد دراسة القصص الشعبي دراسة علمية، إنجازا حديثا بمعنى الكلمة، حيث لا تتجاوز في صورتها العلمية، بداية القرن العشرين على وجه التقريب.. وإن القصص الشعبي في المغرب ـــ شأنه شأن مثيله في كثير من شعوب العالم ـــ من الكثرة والتنوع إلى درجة يصعب معها حصره أو دراسته في شموليته. لهذا كان من اللازم أن تمر عملية التعاطي معه بمجموعة من المراحل الأولية الضرورية، ومنها جمعه وتصنيفه وتبويبه وأرشفته، قبل مقاربته بمختلف المناهج " [2]، ولهذا سنعرض لأهم التصنيفات العالمية و العربية و المغاربية والأساس الذي انطلق منه في تصنيفه :

أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغاربي:

المتمعن في أشكال التعبير الأدبي الشعبي الجزائري يجد أنها كثيرة ومتنوعة، بالاضافة الى أن المطلع على تراث الأمم الأخرى يكتشف مقدار التشابه الكلي أو الجزائي في البناء الشكلي أو الموضوعات، وهذا أكيد ليس أمرا غريبا، لأن الجزائر بلد ممتد المساحة متنوع الطبيعة والثقافة، متجذر في التاريخ، اختلط شعبه بباقي الأمم والشعوب؛ ومنه كان هذا العنوان الذي يبحث في التماثل القائم بين أشكال التعبير الأدبي الشعبي الجزائرية ونظيرتها في الأقطار المغاربية وأيضا العربية ؛مع البحث عن أسباب التماثل والاختلاف فيما بينها:

1. **الحكايات العجيبة:** تمثل الحكاية العجيبة أحد أشكال التعبير المثر بروزا في الثقافة الموروثة لمجتمع بلاد المغرب العربي ،وقد أشارت مختلف الدراسات النياسية (الأثنوغرافية)، والإناسية (الأنثروبولوجية) والسوسيوثقافية منذ ابن خلدون الى ثراء المادة الخرافية و العجيبة التي يتداولها أفراد الجماعات الناطقة باللهجات الأمازيغية ،والتي تحولت إلى التعبير باللهجات العربية بعد ظاهرة التعريب التدريجي للسكان ،وقد حدث تهجين لهذا الصنف في العهد العربي لما انصهرت عناصره في القصص الملحمي ذي الأصول الهلالية [1]
2. **المغازي:** تمثل المغازي شكلا أدبيا شعبيا عرف رواجا منذ عهد الاحتلال الفرنسي لبلدان المغرب...وتمثل حملته في المدّاحين ؛وهم رواة محترفون كانوا يجوبون الأسواق وينتقلون بين المراكز السكانية المختلفة في المغرب العربي. يمثّل هذا الشكل التعبيري أدبا ملحميا استمد عناصره من الثقافة العربية الاسلامية ،وقد تحوّلت بعض موّاده في سياق تطوّرها إلى حكايات شعبية بطولية [2]